

المبحث الثاني

إشكاليات الاستيطان الإسرائيلي في الأماكن المقدسة / القدس والخليل (الورقة الأولى)

م. رائف نجم*

الأهمية الروحية للأرض المقدسة والمواقع المقدسة

خلق الله تعالى الكرة الأرضية لتعيش عليها ذرية آدم عليه السلام. وخص أجزاء منها بالتقديس والمباركة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف والخليل ليهتم بها المسلمون ويحافظوا عليها. وقال تعالى (ونجيناه لوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)^(١)، أي نجا الله إبراهيم ولوطا عليهما السلام إلى أرض فلسطين التي أمضيا فيها زمنا هربا من المشركين والمفسدين. وقال تعالى (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)^(٢). وفي هذه الآية يقسم الله تعالى بالزيتون كناية عن مدينة القدس، والبلد الأمين كناية عن مكة المكرمة، دلالة على قدسية هاتين المدينتين. وقال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)^(٣). وفي هذه الآية خص الله تعالى بالبركة المسجد الحرام في مكة والمسجد الأقصى في القدس. وجعل نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) أول فاتح إسلامي للقدس في ليلة الإسراء والمعراج. وفي بيت المقدس رعى المسلمون التراث

* الرئيس الأسبق للجنة الملكية لإعمار الأقصى.

(١) سورة الأنبياء / ٧١.

(٢) سورة التين / ١-٣.

(٣) سورة الإسراء / ١.

وحفظوه، وتبارى أمراؤهم في إنشاء المساجد والمدارس والمؤسسات الخيرية، واغدقوا عليها الأوقاف والهبات، وأوقفوا الأراضي في القدس والخليل لمنفعة المسلمين. وبعد كل هذا يدعي اليهود اليوم أن القرآن لم يذكر القدس سوى مرة واحدة، أما التوراة فقد ذكرت عشر المرات، وعليه فإن أهمية القدس والخليل الروحية لدى اليهود هي أكثر بكثير من أهميتها لدى المسلمين. ونحن نجيبهم بأن الأهمية لا تقاس بعدد المرات، لأن القرآن ذكر بني إسرائيل عشرات المرات، ولكن ليس في مدحهم بل في ذمهم، وتوعدهم بالعذاب لمخالفتهم أوامر الله ولم يطيعوا أنبياءه، وأفسدوا في الأرض المقدسة وقتلوا ونهبوا واحرقوا وهدموا وارتكبوا جميع المنكرات.

ويكفي الدلالة على أهمية القدس عند المسلمين، أنها شهدت إسراء ومعراج الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وفرضت الصلاة من فوقها، وأما الأهمية الروحية للقدس لدى المسيحيين، فهي أنها تضم في أحضانها كنيسة القيامة التي بنتها القديسة هيلانة سنة ٣٣٥م في نفس الموقع الذي رفع منه عيسى عليه السلام إلى السماء، وأما الأهمية الروحية المزورة لدى اليهود والتي استند عليها المستوطنون الإسرائيليون، فقد جاءت من تركيز الصهيونية العالمية على هذا المحور الروحي لأنه سيخدم مخطط الغزو الاستيطاني اليهودي.

فكان تركيزهم على إنشاء الهيكل الثالث اليهودي في القدس، وفي نفس موقع المسجد الأقصى المبارك، وجعله المركز الأول للعبادة عند يهود العالم. وادعت الصهيونية أن ذلك هو حق اليهود التاريخي الأزلي، الذي عبرت عنه توراتهم في العهد الذي قطعه الرب لإبراهيم وذريته حيث جاء النص التالي:

(في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً، قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين والفرنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرشاشيين واليبوسيين)^(١).

(١) التوراة، سفر التكوين، الإصحاح ١٥، النصوص ١٨-٢١.

وحتى لو كان هذا النص حقيقياً، فإنه ليس لليهود فقط، بل يشمل كل من ذكر من الشعوب، ومنهم الكنعانيون واليبوسيون ومؤسسو مدينة القدس، ومنهم الحثيون سكان مدينة الخليل الأصليون، وذلك قبل الاستيطان اليهودي فيهما بألفي سنة.

الاستيطان الإحلالي

هو القاعدة التي استندت عليها الصهيونية لإرساء جذور الاستيطان الإسرائيلي في الأرض المقدسة. ولم يكن هذا الاستيطان هو الأول من نوعه، فقد سبقه الاستيطان الإحلالي الذي مارسه الأنجلو سكسون في الأرض الأمريكية، عندما قتلوا عشرين مليوناً من الهنود الحمر الذين كانوا يشكلون السكان الأصليين لتلك الأرض. ومن لم يمت منهم شغلوه في مناجم اليورانيوم حتى يقضي عليه تأثير الأشعة.

ثم نجح الاستيطان الإحلالي في استراليا. ولكنه لم ينجح في الجزائر أو في جنوب أفريقيا، حيث قاومت شعوب هذه البلاد المستعمر، ولن ينجح في فلسطين لأن فيها شعب يقاوم الغزو، علاوة على عدم إمكانية تفريط العالم الإسلامي بالمقدسات الموجودة في القدس والخليل، الأرض التي باركها الله تعالى في قوله عن إبراهيم عليه السلام (ونجينا ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين).

وإذا عدنا إلى زمن الدولة العثمانية، نجد أنها كانت تتعرض إلى إغراءات من أجل الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وخصوصاً في عهد السلطان عبد الحميد عندما ذهب إليه يهوديا ثيودور هرتزل، وقرّره صوّ أفندي، وعرضاً عليه أن يسدّد اليهود ديون الدولة العثمانية، وأن يخصوا السلطان عبد الحميد شخصياً بخمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية.

ولكنه دون تردد رفض العرض اليهودي ولم يفرط بالأرض المقدسة. ثم رفع اليهود قيمة الرشوة، ظناً منهم أن المبلغ الذي عرضوه قليل. وقدموا له عرضاً جديداً لتعمير الاسطول العثماني، ودفع مبلغ مائة وخمسين مليون ليرة ذهباً للسلطان شخصياً. ولكن

السلطان عبد الحميد قال لهم: "إن حفنة من تراب الأرض المقدسة أغنى من أموال اليهود في الدنيا". فقرر اليهود بعد ذلك التخلص منه. فتعاونت المحافل الماسونية مع الحركة القومية الطورانية ويهود الدوغة (الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر)، وتم عزل السلطان عبد الحميد في سنة ١٩٠٩م، ونُفي إلى سالونيك وشوّهت سمعته وأهين.

وبعد ذلك وقعت اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦م، ثم صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧م، ووجهه وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد. ومن ثم بدأ تنفيذ الاستيطان اليهودي إلى الأرض المقدسة. وحتى ذلك الوعد المشؤوم، فقد خالفه اليهود وخالفته بريطانيا وأمريكا، لأن النص الذي صدر سنة ١٩١٧م كان بالشكل التالي:

(إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعطف وإنشاء وطن قومي لليهود، وسوف تبذل جهودها لتسهيل الوصول إلى هذا الهدف. وقد أصبح واضحاً تماماً أن ذلك لن يؤثر على الحقوق المدنية والدينية لسكان فلسطين من غير اليهود).

والمقصود في هذا الوعد بسكان فلسطين من غير اليهود هو ٩٢٪ من سكان فلسطين، ورغم ورود جملة "لن يؤثر على الحقوق المدنية والدينية للسكان من غير اليهود" فإن الواقع الحالي يؤكد محاولات الصهيونية وحكومة أمريكا الإجهاز على أية حقوق مدنية ودينية للسكان العرب، واستباحة الجغرافيا والديموغرافيا".

وهذا الشعب اليهودي الذي لا يزيد على ١٥ مليون نسمة في جميع أنحاء العالم ومنهم ٦,٥ مليون نسمة في فلسطين، يصر الآن على اتباع نفس سياسة العدوان والإفساد التي مارسها في مراحل التاريخ القديم، في القصور الإمبراطورية للبابليين والآشوريين والرومان فطردوهم من الأرض المقدسة. وبإمكان هذا الشعب الآن التعايش مع شعوب الأرض ومن ضمنهم الأمة العربية والإسلامية إذا أرادوا ذلك. ولكن الله تعالى قال فيهم (ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) (سورة المائدة/ ٦٤).

ونقرأ في هذا القرن الحادي والعشرين ترويجهم للحمة (هيرمجدون) التي ستقع بين القدس ويافا ويدعمهم في ذلك سبعون مليون أمريكي متصهين، وأنه سيبقى من اليهود

بعد المعركة (١١٤) ألفا سيعتقون ديانة النبي عيسى عليه السلام. فلماذا يا ترى لا يعتنقونها الآن ويوفروا على شعبهم القتل في هذه المعركة التي يؤمنون بوقوعها؟. وأن هؤلاء المستوطنين في الأرض المقدسة هم نواة الجيش الإسرائيلي الذي سيقود المعركة.

الاستيطان الإسرائيلي والوقف الإسلامي

اعتبرت السلطات الإسرائيلية، حكم الوقف الإسلامي مثل حكم الأراضي الأميرية التي يحق للدولة استغلالها. رغم أن قانون الوقف واضح ولا يجوز استعمال أراضي الوقف أو العقارات الموقوفة إلا بالأسلوب الذي حدده الواقف وبواسطة متولي الوقف، وهو الآن دائرة الأوقاف في القدس والخليل. ولكن السلطات الإسرائيلية سمحت للمستوطنين إقامة بعض المستوطنات على أراضي الوقف.

ومن العقارات الوقفية التي صادرتها السلطات الإسرائيلية والمستوطنون في القدس حي الشرف وحي المغاربة وباب السلسلة وحي الباشورة والمدرسة التنكزية التي جعلوها مقرا لحرس الحدود الإسرائيلي، ورباط كرد، وحوالي مائة مسكن عربي خصص أحدها سكنا لشارون في شارع الواد. وترتفع الأعلام الإسرائيلية على جميع هذه المباني تحديا للشعور الإسلامي.

وفي الخليل تمت مصادرة أجزاء كبيرة، أهمها في الدبوا (البلدة القديمة) التي تشكل خطرا كبيرا مستمرا على الحرم الإبراهيمي، حيث وقعت مجزرة كبيرة بعد الفجر في أحد الأيام، من قبل الجندي المستوطن (جولدشتاين) الذي اعتبر بعد ذلك قديسا.

إن استمرار وجود المستوطنين قرب المعالم الدينية، مثل المسجد الأقصى ومسجد إبراهيم الخليل عليهما السلام، يسبب استمرار الاحتكاك والاعتداءات المسلحة على المسلمين، كما حصل في مجزرة الأقصى ومجزرة المسجد الإبراهيمي.

وعليه، فإن على الأمة العربية والإسلامية استغلال أراضي الوقف التي ما زالت شاغرة بدون استعمال حتى تبعد عنها السيطرة الإسرائيلية، ويمكن إنشاء مساكن عليها لاستيعاب التضخم السكاني الفلسطيني، ومنع تسريبها إلى المستوطنين.

كما أن هناك أخطاراً أخرى ناتجة عن وجود المستوطنين قرب المسجد الأقصى المبارك وهي محاولاتهم المستمرة لاقتحام أبواب المسجد الأقصى، ومحاولاتهم في الدخول تحت اسم السياحة.

الخطر الجغرافي والديموغرافي للاستيطان الإسرائيلي

لقد انقلب النظام الجغرافي والديموغرافي في القدس والخليل على عقب، فبعد أن كان المستوطنون يعيشون على رقعة صغيرة من الأرض المقدسة، فقد صادروا اليوم الأراضي الشاسعة في كل من المدينتين المقدستين بمساعدة بريطانيا خلال مرحلة الانتداب وبمساعدة أمريكا بعد إقامة الدولة العبرية. والجدول التالي يوضح التطور الجغرافي في القدس:

السنة	نسبة أراضي العرب	نسبة أراضي الأجانب	المصدر
١٩١٨	٪٩٤	٪٢	بلدية القدس العربية
١٩٤٨	٪٨٤	٪٢	بلدية القدس العربية
١٩٤٩	٪٢٥	٪٧٣	بلدية القدس الإسرائيلية
١٩٩٤	١٤	٪٨٤	بلدية القدس الإسرائيلية
٢٠٠٢	٪١٠	٪٨٨	بلدية القدس الإسرائيلية

أما الجدول التالي، فيبين الوضع الديموغرافي في القدس:

السنة	عدد السكان المسلمين والمسيحيين	عدد السكان اليهود	المجموع
١٩١٨	٣٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٤٠٠٠٠
١٩٤٨	١٤٠٠٠٠	٩٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠
١٩٦٧	٨٠٠٠٠	١٩٠٠٠٠	٢٧٠٠٠٠

١٩٩٤	١٥٠٠٠٠	٤١٠٠٠٠	٥٦٠٠٠٠
١٩٩٧	١٥٥٠٠٠	٤٥٠٠٠٠	٦٠٥٠٠٠
٢٠٠٠	٢١٠٠٠٠	٤٦٠٠٠٠	٦٧٠٠٠٠
٢٠٠٢	٢٢٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٧٢٠٠٠٠

لقد أصبحت مساحة القدس الكبرى التي أعلنت بموجب قانون التنظيم الذي صدر في عام ١٩٧٦ م خمسة عشر ضعفا للمساحة المعروفة في سنة ١٩٤٨ م. وأصبحت الحدود الشمالية نيفي يعقوب، والجنوبية صور باهر، والشرقية التلة الفرنسية. وتم ضم تسع مدن عربية وأكثر من خمسين قرية عربية إلى تنظيم القدس الكبرى، وفي عام ١٩٩٨ صدر تنظيم جديد للقدس الكبرى، بحيث ضموا إليها مساحات إضافية، وأصبحت حدودها من الشمال مدينة رام الله ومن الجنوب جبل أبو غنيم أو بيت لحم ومن الشرق معاليه أدوميم ومن الغرب اللطرون.

وبذلك تصبح مساحة القدس الكبرى حوالي ٢٥٪ من مساحة الضفة الغربية لخدمة الاستيطان اليهودي في الأرض المقدسة.

واتبعت السلطات الإسرائيلية المبدأ نفسه في مدينة الخليل. فبعد أن كانت نواة الاستيطان اليهودي في منطقة الدبوياء فقط، انتشرت بشكل كبير حول مدينة الخليل، وتمت السيطرة الكاملة إداريا وعسكريا على المسجد الإبراهيمي، ولا يقيم المسلمون صلواتهم فيه، إلا تحت الحراسة الإسرائيلية في الوقت الذي يسمح لليهود بدخوله.

نشر المستوطنين المخدرات بين الشباب الفلسطيني في القدس

بعد احتلال القسم الأول من فلسطين في عام ١٩٤٨، نشر اليهود المخدرات بين الشباب الفلسطيني في مدينتي يافا وحيفا، بهدف تدمير البنية الاجتماعية الفلسطينية هناك. وأعادوا التجربة بعد عام ١٩٦٧ في مخيم الجلزون قرب رام الله، ثم في البلدة القديمة في القدس. وكان بعض الشباب من العرب في البلدة القديمة يبيعونها أثناء النهار في الأسواق بصورة علنية، ولا تتدخل سلطات الأمن الإسرائيلية لمنع ذلك. وكانت النتيجة، أن

هاجم سكان المخيم بقوة السلاح مروجي هذه المخدرات في مخيم الجلزون حتى منعوهم من الاستمرار. كما اختفت هذه الظاهرة العلنية في القدس القديمة، إلا أن المشكلة ما زالت مستمرة. ويساعد هذا الترويج وصول الشباب إلى مرحلة الزواج في الوقت الذي لا يتمكنون من الحصول على مساكن جديدة تأويهم، بسبب مصادرة المستوطنين بعض مساكن القدس، وامتناع البلدية الإسرائيلية عن إصدار رخص بناء جديدة لعرب القدس، ومن يتمكن من الحصول على رخصة لمسكن صغير، عليه أن يدفع رسوم باهظة تصل إلى ٢٥ ألف دولار.

التعايش السلمي في القدس والخليل

لقد أثبت التاريخ، أن المسلمين والمسيحيين الشرقيين الذين عاشوا معاً في الأرض المقدسة على مدى التاريخ، كانوا متقاربين من حيث المبادئ السياسية والطباع الاجتماعية، وازدادت أواصر المحبة والتآخي متانة، وعلى الأخص بعد زوال الحكم العثماني، وفي غضون الانتداب البريطاني، وخلال الحكم الأردني، وذلك بسبب مطامع اليهود في الاستيطان على هذه الأرض المقدسة. وقد أملت النكبات بالمسلمين والمسيحيين على حد سواء، وقاوموا الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي والاحتلال الإسرائيلي سنين طويلة دون أن يتمكن أحد من تفريق صفوفهم، وكان شعارهم الوحيد: الدين لله والوطن للجميع.

قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)^(١).

أما المسيح عليه السلام فكان يقول: (أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود)^(٢). أن قوة المسلمين والمسيحيين في الأرض

(١) سورة البقرة / ١٣٦.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح، العدد ٢٢.

المقدسة في وحدتهم، وكل فرقة تؤدي إلى ضعف، وكل ضعف يؤول إلى سقوط، وبالتالي تمكن الأعداء منهم.

لقد أثبت التاريخ، أن الأرض المقدسة لن تدم إلا لسكانها العرب، فكم من يد غازية استلبته، وسرعان ما يسترد سكانها وحدتهم ثم يستردونها ويعيدون إليها عروبته. كما ثبت استحالة التعايش السلمي مع اليهود على هذه الأرض منذ العصور القديمة في زمن البابليين والآشوريين والرومان، وعلى مدى خمسة آلاف سنة. وأقول للأمتين الإسلامية والمسيحية (إن مقدساتكم على هذه الأرض المباركة قد منحتكم الحياة والسلام، وقد حق عليكم في هذه الظروف السياسية، والعدوان الاستيطاني، أن تمنحوا مقدساتكم الحياة والسلام، وأن تنقذوها من حقد الصهيونية العالمية التي تخطط للسيطرة على العالم الإسلامي والمسيحي).

هل بإمكان الاستيطان الإسرائيلي تشكيل أساس لمملكة يهودية زمنية؟

تدعي الصهيونية استنادا إلى معتقدات توراتية وتلمودية زائفة، أن الاستيطان اليهودي قد شكل في التاريخ القديم مملكة يهودية على الأرض المقدسة. وعلى هذا الأساس، فبالإمكان تشكيل مملكة يهودية حديثة على نفس الأرض. وهذا المعتقد، ليس سنداً تاريخياً ولا سنداً منطقياً ولا سنداً دينياً ولا سنداً قانونياً.

إذ إن المؤسسين الأوائل لمدينة القدس هو اليوسيون العرب سنة ٣٠٠٠ ق.م. كما أن المؤسسين الأوائل لمدينة الخليل هم الحثيون. والتوراة المحرفة نفسها لا تنكر ذلك، حيث جاء فيها (وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقا إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها "عنقود عنب خليلي" ... وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك. العمالقة ساكنون في أرض الجنوب. والحثيون واليوسيون والأموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن)^(١). ففي هذا النص، دلالة واضحة على أن العمالقة

(١) التوراة، سفر العدد، الإصحاح ١٣، النص ٢٨-٢٩.

واليبوسيين والكنعانيين والحثيين، كانوا يسكنون في جميع أنحاء فلسطين: أي في المنطقة الجبلية وفي غور الأردن وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهم أهل البلاد الأصليين. وجاء في التوراة أيضا (وقام إبراهيم من أمام ميتة وكلم بني حث "أي الحثيين" قائلا : أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي من أمامي). وكان ذلك عندما توفيت زوجته سارة، فأعطاه الحثيون المغارة الموجودة تحت المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

وجاء في التوراة النص التالي (وكان بنو يعقوب، اثني عشر، هم: رأوين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، ويوسف، وبنيامين، ودان، ونفتالي، وجاد، واشير. هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان آرام)^(١) أي أنهم ولدوا ونشأوا خارج فلسطين، وخارج الأرض المقدسة المباركة)، وعليه فإن فلسطين لم تكنوطنا أصليا لبني إسرائيل بشهادة توراتهم.

وقد ترك اليهود ديانة يهودية متأخرة مقتبسة من التراث الكنعاني والبابلي والآرامي. وأن عهد الملوك بما فيه عهد داود وسليمان الذي لم يمكث أكثر من سبعة وسبعين عاما، كان عهدا كنعانيا بحضارته وثقافته ولغته.

وأخلص من كل هذا، إلى أن الكيان اليهودي لم يقيم على أساس قومي راسخ أصيل بثقافته وتقاليده ووطنه، لأن اليهود لم يملكوا تراثا خاصا بهم، ولم يكن لهم وطن، لأنهم كانوا غرباء وافدين إلى فلسطين، وإلى الأرض المقدسة في القدس والخليل.

إن كيان إسرائيل كان قائما على الاغتصاب والاعتداء على شعب أمن له قوميته وثقافته وتقاليده، عاش على أرضه، وجاء اليهود لطرده والإقامة مكانه، زاعمين أن يهوه (إلههم الخاص بهم)، أمرهم أن يبيدوا هذا الشعب ويحلوا محله.

إن اليهود المنتشرين في أنحاء العالم، بما فيهم المستوطنين الإسرائيليين في الأرض المقدسة، ينتمون إلى قوميات مختلفة وليسوا عنصرا واحدا، ولا يمكن أن يشكّلوا شعبا

(١) التوراة، سفر التكوين، الإصحاح ٣٥، النصوص ٢٣-٢٦.

واحدا متحدا. ولذلك تسعى الصهيونية إلى ربط عمليات اضطهاد اليهود، بمصير واحد وولاء واحد لإسرائيل. والإسرائيليون المستوطنون في الأرض المقدسة بعضهم متدين والبعض الآخر علماني وشتان بين معتقداتهم. ولم يجمعهم إلا الخطر الذي افتعلته الصهيونية، وتمكنت من الحصول على الدعم الأمريكي منقطع النظير.

إن هذا الوضع لا يتجانس مع القانون الطبيعي. فكيف ستعيش هذه الفئة ذات الأجناس المختلفة التي تبلغ بضعة ملايين بين خضم عربي إسلامي كبير، ولا يمكن أن يستمر هذا الوضع، إلا لمرحلة زمنية قصيرة لأنه يتناقض مع الطبيعة البشرية.

٨- تأثير الاستيطان على التسوية النهائية لقضية القدس والخليل والقضية الفلسطينية بعامه

بدأ الاستيطان في مدينة القدس على يد (متفيوري) الذي بنى كاملا في الجانب الغربي من المدينة، أطلق عليه اسمه (حي متفيوري)، وكان ذلك في بداية مرحلة الانتداب البريطاني. إن أول مستوطنة إسرائيلية أنشئت في منطقة القدس كانت في عام ١٩٢٤م وهي مستوطنة (كفار عفري) في قرية بيت حنينا. ودمرها المتظاهرون الفلسطينيون ثلاث مرات في أعوام ١٩٢٩، ١٩٣٦، ١٩٤٨، الجانب الغربي من المدينة أطلق عليه اسمه (حي متفيوري) وكان ذلك في بداية عهد الانتداب. وعليه فإن المخطط الاستيطاني لتهويد القدس قد بدأ قبل قيام الدولة العبرية بربع قرن من الزمان. وبلغت نسبة عقاراتهم في البلدة القديمة في سنة ١٩٤٨، ٤٪ فقط، والباقي كان يملكه العرب. ورغم ذلك نجحوا في إطلاق اسم (الحي اليهودي) على هذه البقعة الاستيطانية. وكان الاسم في البداية يعبر عن جنسية السكان وليس المالكين. وبالتدرج أصبح الناس يعتقدون أن اليهود هم المالكون لهذا الحي. وعندما تم هدمه خلال حرب ١٩٤٨، بقي على وضعه إلى ما بعد احتلال ١٩٦٧ حيث حولته السلطات الإسرائيلية إلى مستوطنة حديثة، تطل بأبنيتها المرتفعة على المسجد الأقصى المبارك.

وقد بلغ عدد المستوطنات الإسرائيلية في القدس في مطلع الحادي والعشرين ٣٣ مستوطنة، علاوة على عدد كبير من العقارات المصادرة في لبلدة القديمة، وقد أثر حجم الاستيطان الإسرائيلي على طابع التسوية في مدينة القدس، فأخذ المفاوض الإسرائيلي يطرح على السلطة الفلسطينية خرائط تقسيم الأحياء في البلدة القديمة، بحيث تبقى العقارات المصادرة تحت السلطة الإسرائيلي، تماما كما كانوا يفعلون بالمستوطنات حول القدس. والمفاوض الفلسطيني يطلب إزالة ما يمكن إزالته من المواقع الاستيطانية مثل مستوطنة رأس العمود (نئوت ديفد) ومستوطنة سلوان (مدينة داود) ومستوطنة أبو ديس (كدمات صهيون)، أو أن تكون جزءاً من الأحياء البلدية الفلسطينية. وبقاء مثل هذه المستوطنات سيستج عنه احتكاك واصطدامات مستمرة بين الجانبين، لأن العدوان هو من الطبائع الأصلية في نفوس اليهود.

وقد اتبعت السلطات الإسرائيلية في إنشاء المستوطنات أسلوباً عسكرياً، يتمثل في بناء المستوطنة الواحدة على مرتفع يطل على ما حوله من أراض عربية منخفضة، وتحرص السلطات الإسرائيلية على أن تكون الأبنية في خطوط متوازنة بعضها خلف بعض، وأسطحها منحدر، وبنائها من الخرسانة المسلحة والحجر، ونوافذها صغيرة الحجم، وترتبط المستوطنة بطرق معبدة، وتجهز بجميع خدمات البنية التحتية اللازمة. وقد أوضحت الجمعيات اليهودية، التي وقفت من وراء المستوطنين، أن أحد أهدافها المركزية هو إغلاق الطريق أمام أي إمكانية لتقديم تنازلات إسرائيلية في مناطق القدس، حتى لو كانت هذه التنازلات حلولاً تسوية، لا تتضمن أي تنازل عن السيادة الإسرائيلية.

وقد جهدت الجمعيات الاستيطانية اليهودية في أنحاء كثيرة من خارج البلدة القديمة، لتكثيف الاستيطان مثل جبل الزيتون، وحي الشيخ جراح، والثوري، وسلوان، وأبو ديس، ورأس العامود. حتى وصل عدد المستوطنين اليهود في الجانب الشرقي من مدينة القدس حوالي ٢١٠ ألف نسمة، منهم حوالي (٢٤٠٠) يهودي في البلدة القديمة مقابل

٢٢ ألف مسلم و(٤٩٠٠) مسيحي و(٢٢٠٠) أرمني. وسيكون لهذا الوجود المرتفع من أعداد المستوطنين اليهود تأثير كبير على صورة التسوية الدائمة النهائية في القدس، إن تم لها أن ترى النور.

أما بالنسبة لمدينة الخليل، فإن مخطط الاستيطان في هذه المدينة، قد تركز في البداية في حي الدبوياء في البلدة القديمة لمدينة الخليل لقربها من مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، ولوجود بيوت قديمة تركها أهلها بسبب حالتها السيئة وعدم وجود إمكانية مادية لديهم لإعمارها، فصادرهما المستوطنون وساعدتهم السلطات الإسرائيلية في ترميمها، وإنشاء الجيش الإسرائيلي أبراج حراسة مسلحة حول الحي المصادر، بهدف حماية سكانه اليهود الذين لا يزيد عددهم على (٤٢٠) شخصا مقابل أربعين ألف عربي حولهم. ثم أنشأوا مستوطنة كريات أربع على حدود مدينة الخليل، ومنعوا استكمال مسجد خالد بن الوليد الجميل الذي كان يجري بناؤه في نفس الموقع وبقي إلى الآن بدون قبة، وبنصف مئذنة. وقد بلغ الآن عدد المستوطنات الإسرائيلية في الخليل (٢٧) مستوطنة.^(١)

المستوطنات في منطقة القدس

الرقم	اسم المستوطنة	تاريخ الإنشاء	الموقع
١.	كفار عفري	١٩٢٤	بيت حنينا.
٢.	عطيروت	١٩٦٧	على أراضي قلنديا.
٣.	معالية دفنا	١٩٦٨	٣٠٧ دونم من أراضي عائلات مقدسة.
٤.	الحي اليهودي في البلدة القديمة	١٩٦٨	٣٣٤٥ دونم حول القدس.
٥.	الحي اليهودي في البلدة القديمة	١٩٦٨	١١٦ دونم من أراضي حارة شرف.

(١) المركز القانوني للدفاع عن الأرض / نابلس.

٦.	جفعون	١٩٦٨	أراضي قرية الجيب
٧.	نيفي يعقوب	١٩٦٩	—
٨.	جفعات شابيرا	١٩٧٠	الثلة الفرنسية-١٥ ألف دونم لدير اللاتين وعرب شعفاط ولقتا
٩.	راموت	١٩٧٠	بيت اكسا ولقتا وشعفاط
١٠.	تل بيوت الشرقية	١٩٧٠	٢٤٠٠ دونم من أراضي صور باهر
١١.	رينخس شعفاط	١٩٧٠	١١٩٨ دونم من أراضي شعفاط الرأس
١٢.	مشور أد وميم	١٩٧٤	أراضي قرية أبو ديس
١٣.	معاليه أد وميم	١٩٧٥	أراضي العيزرية وأبو ديس
١٤.	جبعات زئيف	١٩٧٧	أراضي قرى بيتونيا وبيت دقو والحبيب
١٥.	بزغات زئيف	١٩٧٨	—
١٦.	كفار أد وميم	١٩٧٩	أراضي قرية عنان
١٧.	جيلو	١٩٨٠	٢٧٠٠ دونم من أراضي بيت جالا وبيت صفافا وشرفت
١٨.	جفعون حد شاه (أ)	١٩٨٠	أراضي بيت إجزا
١٩.	جبعات بنيامين-آدم	١٩٨٣	أراضي قرية جبع
٢٠.	عنا توت	١٩٨٣	أراضي قرية عناتا
٢١.	هارادار	١٩٨٥	أراضي قرية بيت سوريك وبدو
٢٢.	بسكات عمومر	١٩٨٧	١٠٠٠ دونم ثم توسع
٢٣.	داود	١٩٩٠	مشروع مامبلا غرب باب الخليل
٢٤.	جبعات همطوس	١٩٩١	أراضي بيت صفافا وبيت جالا وأراضي دير الروم الأرثوذكس (١٧٠) دونم
٢٥.	جفعون حد شاه (ب)	١٩٩١	أراضي قرية بدو
٢٦.	هارحوما	١٩٩٧	جبل أبو غنيم

٢٧.	مشروع استيطاني في رأس العامود	١٩٩٨	رأس العامود
٢٨.	برج اللقلق	١٩٩٨	باب الساهرة
٢٩.	ألون	١٩٩٩	أراضي وادي القلط
٣٠.	فرمرية	١٩٩٩	أراضي قرية صور باهر
٣١.	كدمات زيون	٢٠٠٠	أبو ديس
٣٢.	جيفاعوت	٢٠٠١	جنوب القدس
٣٣.	نوف ذهب	٢٠٠٢	—

إن اتفاقية التسوية التي تمت بشأن الخليل بين السلطة الفلسطينية والجانب الإسرائيلي، تحدد التزامات وحقوق الجانبين بالنسبة للمسجد الإبراهيمي وبالنسبة لتقسيم المنطقة. ولكن الممارسات التي تجري على الواقع بسبب وجود المستوطنين وتكاثرهم، وممارساتها التعسفية اليومية ضد أهالي الخليل، تختلف كل الاختلاف عما تم التوقيع عليه. ولذلك فإن أي تسوية يتم التوقيع عليها لا يحترمها الجانب الإسرائيلي، ويقول عنها بعض رؤساء وزاراتهم، إنها ليست كتاباً مقدساً. وهي في الواقع كما هو ظاهر للعيان عبارة عن هدنة يستكين لها الجانب الفلسطيني والعربي ويستعد للانقضاض عليها الجانب الإسرائيلي كلما تسنح له الفرصة. ولا يمكن أن يتعايش المستوطنون مع أية اتفاقيات أو مع السكان الفلسطينيين العرب حولهم.

